إشكالية الحفاظ على التراث العمراني في الوطن العربي
دراسة حول المخاطر والحلول

الأستاذ الدكتور / محمد محمد الكحلاوي*

مقدمة :

اتجه الباحثون المتخصصون في مجالات التراث العمراني والعمارة والفنون التقليدية إلى البحث عن العوامل المؤثرة عليها وامكانية التعرف على اصولها وتحديد الاسس النظرية التي ساهمت في ابرازها وقد تناولت معظم الدراسات السابقة هذه الموضوعات بطريقة سطحية ولذلك كانت نتائجه لا تتوافق او تتلائم مع الواقع الحافل للمواقع التراثية في الوطن العربي ويرى بعض الباحثين أن مشاكل المواقع التراثية قد تمت بطريقة ارتجالية عشوائية ولكن الدراسات الحديثة استطاعت أن تكشف النقاب على أن النموذج العمراني للمدن التراثية الإسلامية يستجيب فيه الشكل إلى المضمون من خلال تركيبة متجانسة متوافقة مع بيئتها وقد افادتها هذه الدراسات ايضاً في وضع منهجية للدراسة هذه المواقع والمباني التراثية على اسس علمية واضحة منها دراسة موقع المدينة وطبيعته مع التركيز على دراسة العناصر الرئيسية والتي نستطيع من خلاله التمييز بين كل عنصر من العناصر وتحديد الزمن التاريخي كذلك استخدام دراسة تحليلية مرفولوجية للتنظيم العمراني الهدف منها تحديد التنظيمات العمرانية للمواقع التراثية الإسلامية وهي تساعد في تحديد الملامح القديمة للمواقع التراثية قبل أن تتأثر بعوامل خارجية وهذا ما جعل العديد من الباحثين يقومون بعملية تنقية بتخليص المواقع التراثية من جميع العناصر الوافدة عليها وذلك بغرض ارجاعها إلى اصالتها وتوافقها مع بيئتها الاولى مما سيؤدي إلى ابراز كافة العوامل المؤثرة عليها ومعرفة الهيكل العمراني للمدن التراثية واساليب عمارتها وزخرفتها ومكوناتها من وحدات رئيسية وفرعية[1] وهذه الدراسة اتناول فيها باختصار تحديد معالم المخاطر المهددة لبعض المواقع التراثية في الوطن العربي مع محاولة تشخيصية لايجاد رؤية تحليلة لهذه المخاطر ، وايجاد رؤية مماثلة للحلول الواجبة للحفاظ على المدن والمواقع والمباني التراثية .

التراث والآثار المفهوم والدلالة :

---

* أستاذ الآثار والعمارة الإسلامية بكلية الآثار – جامعة القاهرةوأمين الاتحاد العام للاثاريين العرب

[1] إستعرض الزميل محمد وهيب في بحثه القيم حول معرفة التراث مجموعة الاشكاليات التي تهدد المواقع والمباني التراثيه في الوطن العربي وقد نوه الى ضرورة إيجاد رؤيه محدده لخدمة وحماية تراثنا القومي.

- التراث كلمة مأخوذة من مادة (ورث) وتعني في المفهوم العام مايورثه الفرد من ميراث لورثته ، ويعد القران الكريم اول من اورد لنا كلمة التراث في قوله تعالى في سورة الفجر اية (١٩) " وتأكلون التراث اكلا لما ".
- ثم تطورت دلالة الكلمة لتصبح اكثر اتساعا في استيعاب ميراث الماضي من التراث الحضاري ليشمل كل ماخلفه الانسان على الارض من ادوات وفن وعلوم الفن والاداب والعلم والتاريخ .... الخ
- واصبح التعريف بكلمة التراث هو مجموعة الكشوف الابداعية التي نجح السابقون في تسجيلها بآثارهم .
- وجاء تعريف اليونسكو للتراث اكثر تفصيلا وتحديداً ، اذ لم يفرق بين الآثار والتراث واعطائهما تعريفا واحداً عرف باسم التراث الثقافي والطبيعي ، وهي تشمل : " الآثار المعمارية واعمال النحت والتصوير على الآثار ، بما في ذلك الكهوف والنقوش وغيرها ، كما اشتمل التعريف على المجتمعات والمعالم الحضارية سواء اكانت منعزلة او متصلة ولها سمات وخصائص معمارية وفنية متميزة او متناسقة مع بيئتها ، كما شمل التعريف المواقع باعتبارها مناطق ذات طبوغرافية خاصة وتشمل الاعمال المشتركة بين الانسان والطبيعة ولها قيمة فنية مميزة .
- اما اتفاقية حماية التراث العلمي الثقافي والطبيعي لعام ١٩٧٢ م فقد شملت في تعريفها للتراث والاثار : " بمجموعة الابنية وفضاءاتها ، وتشمل المواقع الاثرية التي تشكل مجتمعات بيئية او حضرية او ريفية ولها قيمة اثرية او معمارية او تاريخية او جمالية ويشمل هذا التعريف المدن التاريخية والاحياء الحضارية والمعالم المتجانسة التي حافظت على اصلتها .
- اما تعريف منظمة العواصم والمدن الإسلامية للتراث بانه ذاكرة الامة بكل ما تختزنه من احداث مرت على مر التاريخ ، وتأثرت بالعوامل الاقتصادية والاجتماعية والبيئية والعمرانية المكونة لمقومات الحضارية للانسان وعليه تؤكد جميع التعريفات السابقة على أن الآثار والتراث متلازما شكلاً ومضمونا ، وان ما ينطبق على المواقع الاثرية والتراثية من تشريعات دولية هو واحد .

ماهية إشكالية الحفاظ على التراث في الوطن العربي :

- تعاني المدن العربية بشكل عام من مخاطر اندثار وضياع تراثها العمراني والطبيعي ،وذلك نتيجة لعدة عوامل من أهمها :
- ١-الزحف العمراني التوسعي العشوائي الجديد الذي يزيل من امامه كل مظاهر الاصالة من مدننا وقرانا الريفية والحضارية .

- ٢-الوضع الاقتصادي الذي ساعد في التخلي عن فكرة الحفاظ على التراث امام جبروت العامل المادي مما جعل الكثير من ملاك المباني التراثية يقومون بالتصرف فيها للبيع او قيامهم بعملية احلال جديدة طمعا في الكسب والثراء.
- ٣-غياب التشريعات القانونية التي تعمل على صيانة المباني والمواقع التراثية من العبث وان وجدت بعض هذه التشريعات فهي لم تجد آليات تفعيلها .
- ٤-الإهمال في إعمال الصيانة والترميم اللازمة في عملية سلامة المواقع والمدن التراثية وان وجدت فلا ضابط لها ، مما يؤثر سلباً على المباني والمواقع التراثية بالتشويه .
- ٥-ضعف دور المنظمات العربية والإسلامية الايسيكو والاليسكو ومنظمة المؤتمر الإسلامي في غرس مفاهيم القيمة التراثية في المجتمعات العربية والإسلامية سواء الحضارية او الريفية .
- ٦-ضعف دور الجمعيات الأهلية المعنية بشئون البيئة في توصيل رسالتها داخل مجتمعاتها العربية والإسلامية .
- ٧-قلة الوعي المعرفي بقيمة التراث العمراني لدى المجتمعات العربية والذي يعتبره الكثير وللاسف الشديد مظهر من مظاهر التخلف الحضاري .
- ٨-تبني الحكومات العربية لمشروعات عمرانية حديثة لاتتصل بالارث الحضاري والتراث العمراني للمدن والاقاليم والقرى مما تسبب في ضياع الهوية التراثية لبعض الدول العربية منها على سبيل المثال مصر .
- ٩-الحروب الحديثة والتي اصبحت تهدد المباني والمواقع التراثية بشكل مباشر دون تقيد بالاتفاقيات الدولية التي تجرم هذه الاعتداءات .
- ١٠-لاتوجد برامج حكومية او اهلية تعمل على بلورة مفهوم التراث واظهار امكانية استثماره لدى المجتمعات العربية ومايعكسه ذلك من رواج اقتصادي على المجتمع والمواطن في حالة صيانتها والحفاظ عليه واستثمارها بشكل امثل لايؤثر عليها .
- ١١-غياب التشريعات العربية الموحدة والتي كان يجب أن ينص عليها من قبل دوائر حفظ الآثار في الوطن العربي .
- ١٢- عزوف رجال الاعمال عن المشاركة مع الحكومات في مشروعات صيانة المواقع والمباني التراثية في مقابل استثمارها لفترة محددة .
- ١٣-الهجرات البشرية من القرى الريفية والمدن الصحراوية إلى المدن الكبرى سعياً وراء الكسب والحالة الاقتصادية مما يحدث انعكاسا سلبيا على البيئة التراثية بتفريغها من قبل سكينيها نتيجة لهذه الهجرات المتعاقبة .
- ١٤-الحرف والصناعات التقليدية مهددة بالانقراض نتيجة عزوف ابناء الصناع عن ممارسة المهنة لعدم وجود اسواق تستوعب منتجاتهم ، او تشجيع

حكومي لها ببناء مدارس تحفظ لتلك الحرف صناعها المهرة وتشجيع أبناءهم على توريث المهنة .

الحلول المفترضة للحفاظ على المواقع والمباني والحرف التراثية:

- ١-تفعيل دور الاثاريين في خطة الحكومات العربية من اجل إشعار المجتمعات العربية بدورهم في حماية وصيانة المواقع والمباني التراثية .
- ٢-طرح مشروعات صيانة وترميم المواقع والمباني الأثرية من قبل الحكومات العربية امام رجال الأعمال في ما قبل إعادة توظيفها من الناحية السياحية مع ضرورة الالتزام بسلامة الموقع وعدم إحداث أي إضافات تعمل على تغيير معالمه القديمة .
- ٣-مساهمة المنظمات والهيئات الحكومية والمجتمع المدني في إنماء فكرة الوعي بالتراث الحضاري .
- ٤-تبني الحكومات استحداث مادة التراث الحضاري في المناهج التعليمية في كافة المراحل التعليمية مما ينعكس ايجابياً على غرس مفاهيم الانتماء لدى أبناءنا .
- ٥-توجيه الاستثمارات السياحية الصغيرة لشباب في المواقع التراثية بتأهيلها من ناحية الخدمات العامة من طرق ومرافق مما يسهل على الشباب بناء مشروعات سياحية صغيرة تساعد على تنمية الموارد البشرية والحفاظ على المواقع التراثية .
- ٦-قيام المنظمات العربية المعنية بالتراث ، يعمل دورات تدريبية لاعداد كوادر جديدة مؤهلة لعملية إدارة المواقع التراثية .
- ٧-قيام الجمعيات الاهلية بعمل معارض للصناعات والحرف التقليدية على غرار معرض الجنادرية بالمملكة العربية السعودية .
- ٨-تفعيل القوانين التي تحفظ وتصون المواقع الاثرية وتشديد عقوبة الاعتداء عليها.
- ٩-ربط المواقع التراثية بالخريطة السياحية من اجل توجيه أنظار المستثمرين اليها.
- ١٠-تبني الحكومات العربية بناء مدن جديدة تحمل سمات وخصائص التراث الحضاري وذلك لضمان استمرارية الحفاظ على التراث التقليدية في كل بلد .
- ١١-سرعة تسجيل المواقع التراثية المهددة بالخطر يعرض حمايتها وضياعها من العبث والتداعي.

وللتعرف على الإشكاليات والمخاطر الحقيقيه التى تهدد مواقعنا التراثيه ومبانينا الاثريه سوف نستعرض نماذج من تلك المواقع والمباني ، والتي أصبحت نعاني

مخاطر الزحف العمراني والمشروعات الاستثماريه أو الإهمال العمد الذي يــؤدي لا محاله الى سرعة حركة التداعي وأعمال التلف وهذه النماذج هي:

نموذج للمواقع والمباني التراثية بمدينتي رشيد الساحلية ومدينة القصر الصحراوية في مصر

- اولاً : المباني التراثية بمدينة رشيد الساحلية :

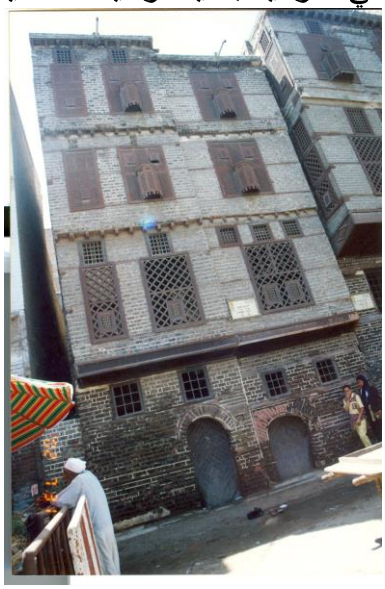

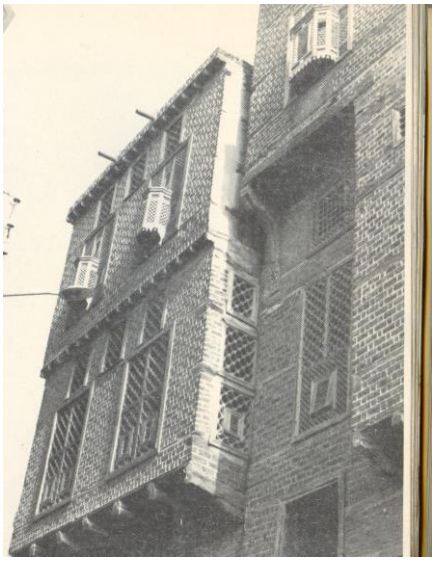

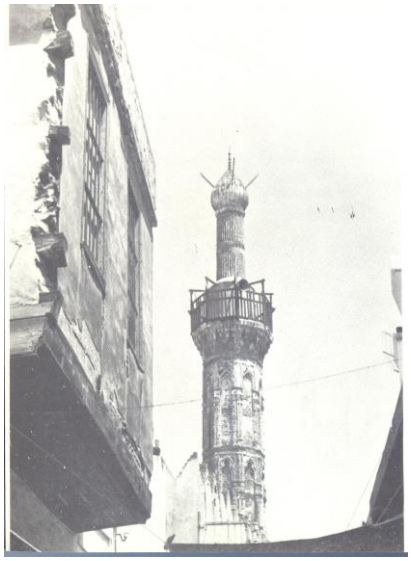

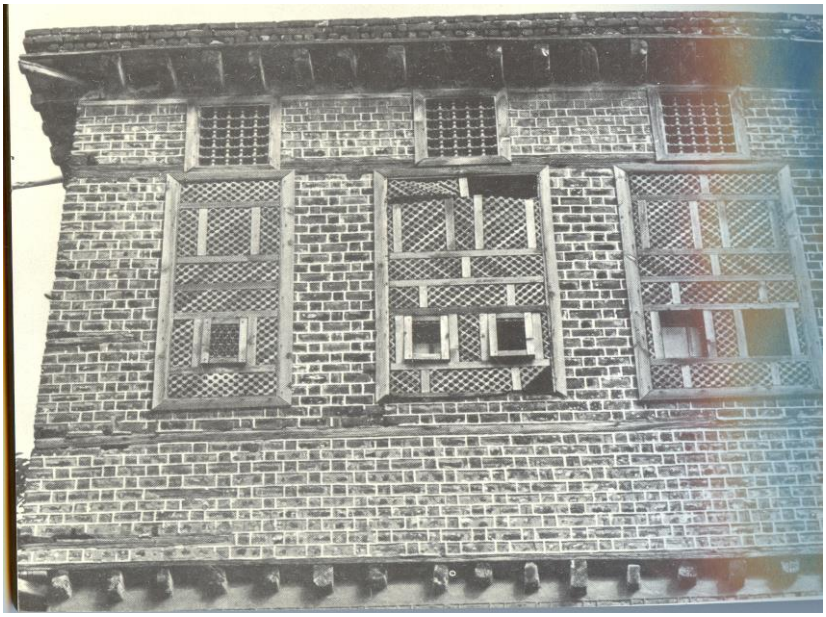

نموذج لواجهه منزل برشيد

ثانياً: نماذج للموقع تراثي صحراوي مدينة القصر :

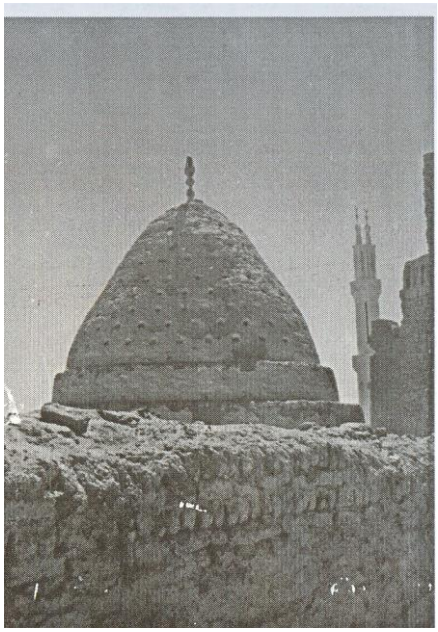

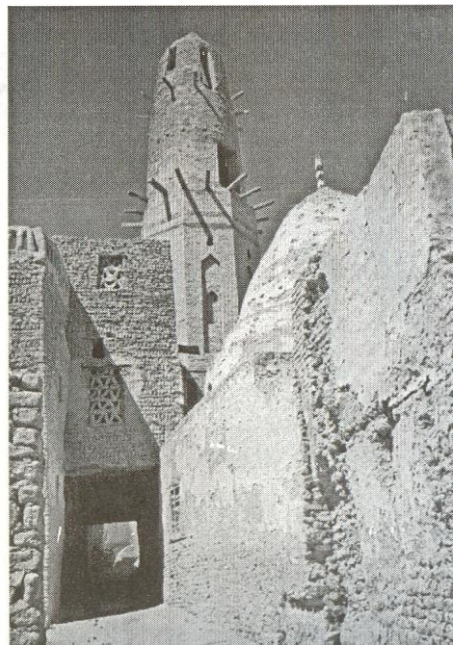

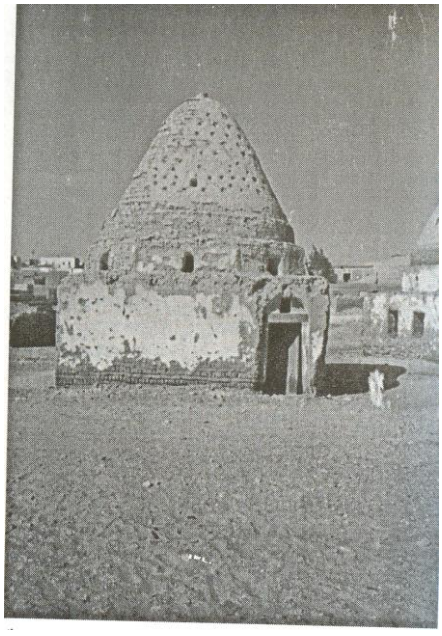

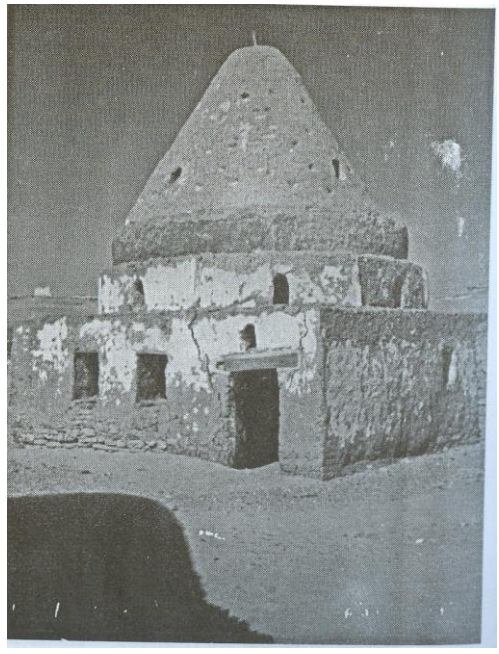

نماذج لمباني تراثيه بمدينة القصر – مصر

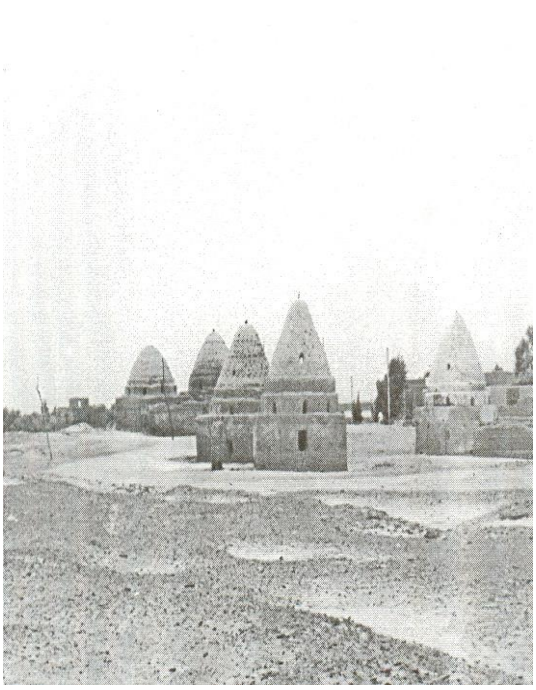

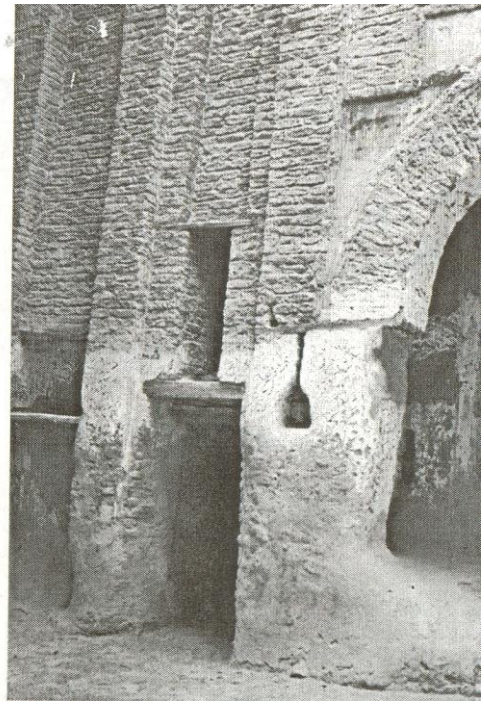

نماذج من مباني دينيه وأضرحه بمدينة القصر

نموذج للمباني والمواقع التراثية بمدينة ذي جبلة –اليمن

- ذو جبلة :

وتعرف بذي جبلة وهي مدينة عامرة تقع شمال شرق جبل التعكر في الجنوب الغربي من مدينة إب عاصمة محافظة إب * المعروفة باللواء الاخضر ، نظراً لخصوبة اراضيها واعتدال هوائها ، وترتفع عن سطح البحر نحو ٢٠٠٠ م.

تمتاز هذه المدينة بطيب هوائها وخصوبة اراضيها وجمال عمائرها التاريخية العتيقة ذات الطابع المعماري والفني المتميز الذي يقدم لنا بتصميماته الدقيقة وتناسقه الجميل وزخارفه البديعة لوحة بديعة من اجمل لوحات الفن المعماري اليمني في العصر الاسلامي .

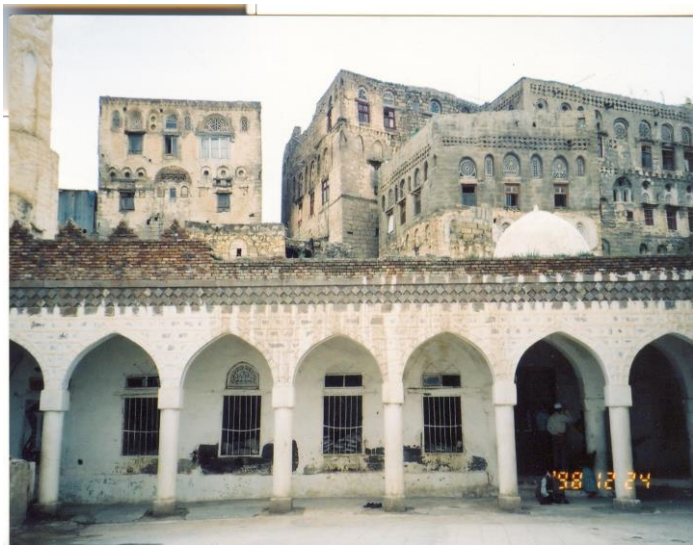

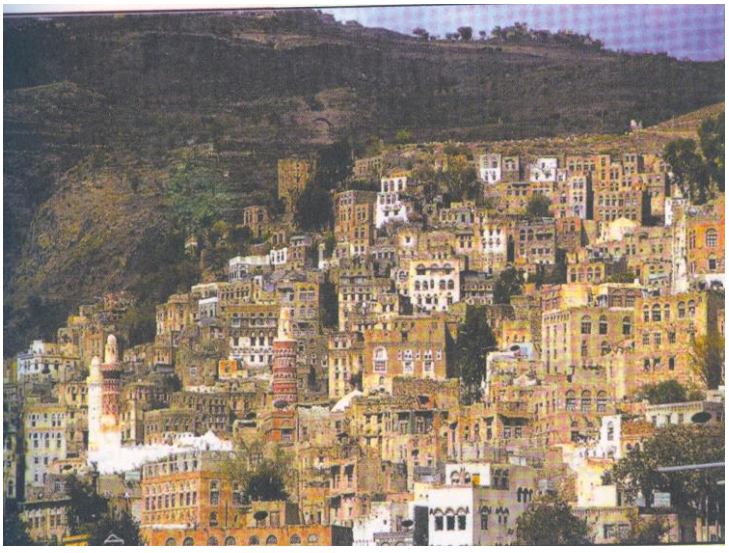

نماذج من المواقع والمباني التراثية بالمملكة العربية السعودية
(جدة – نجد – دومة الجندل)

اولاً : جدة كنموذج للمدينة الساحلية بمملكة العربية السعودية

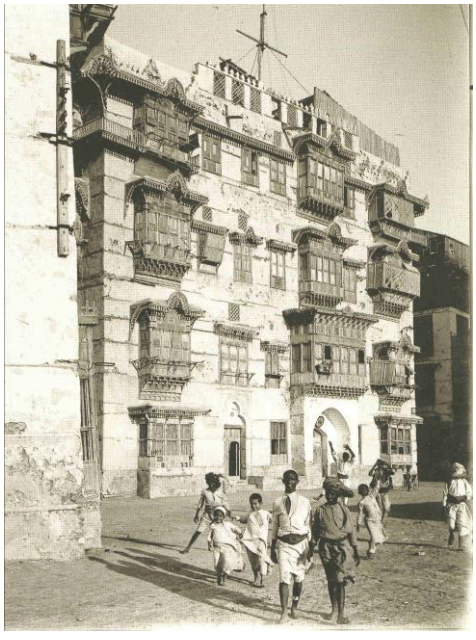

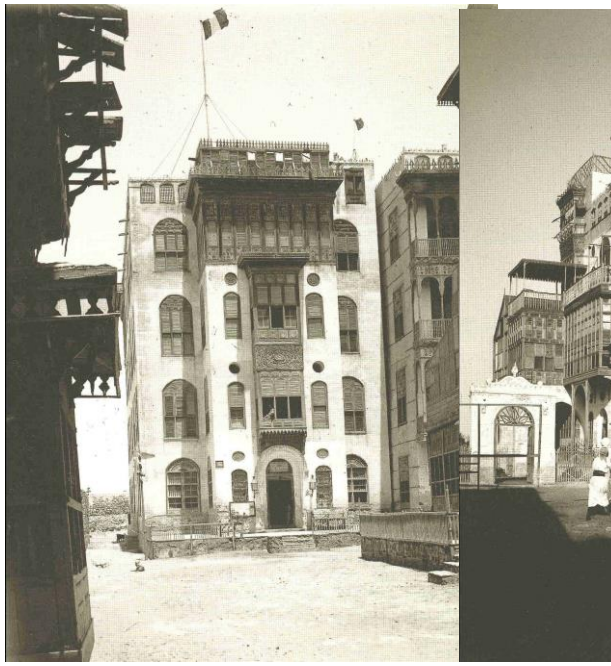

منازل جده موقع تراثي مهدد بالخطر

ثانياً : نجد كنموذج للمباني التقليدية بمملكة العربية السعودية

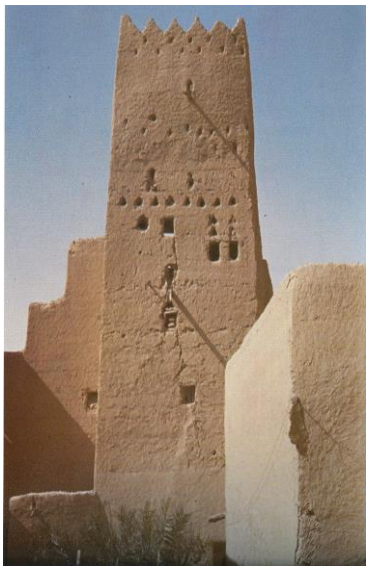

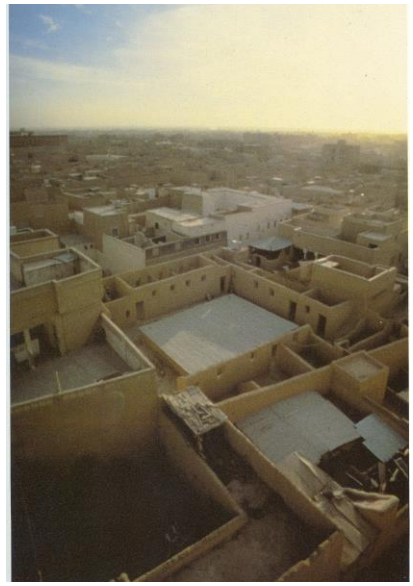

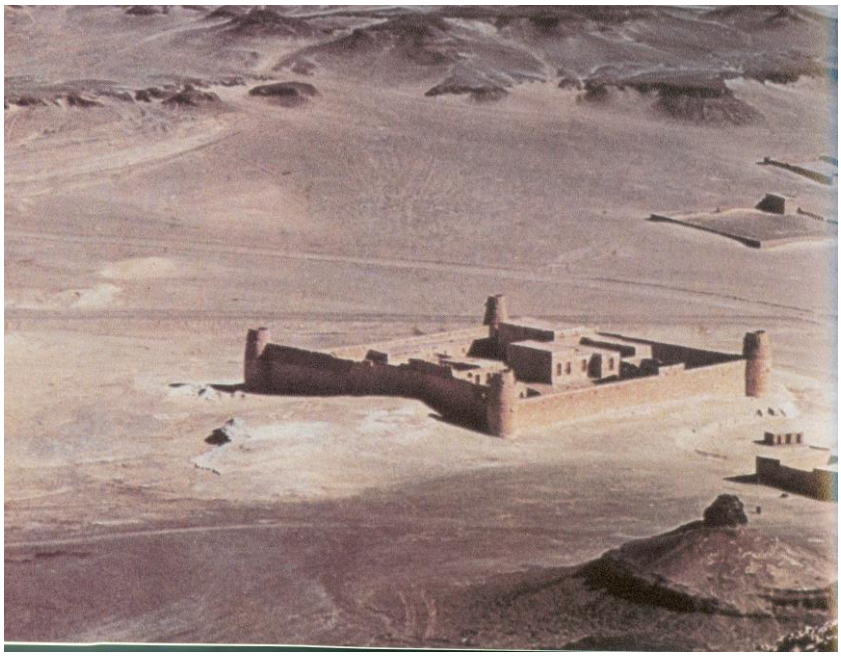

مواقع تراثيه من نجد

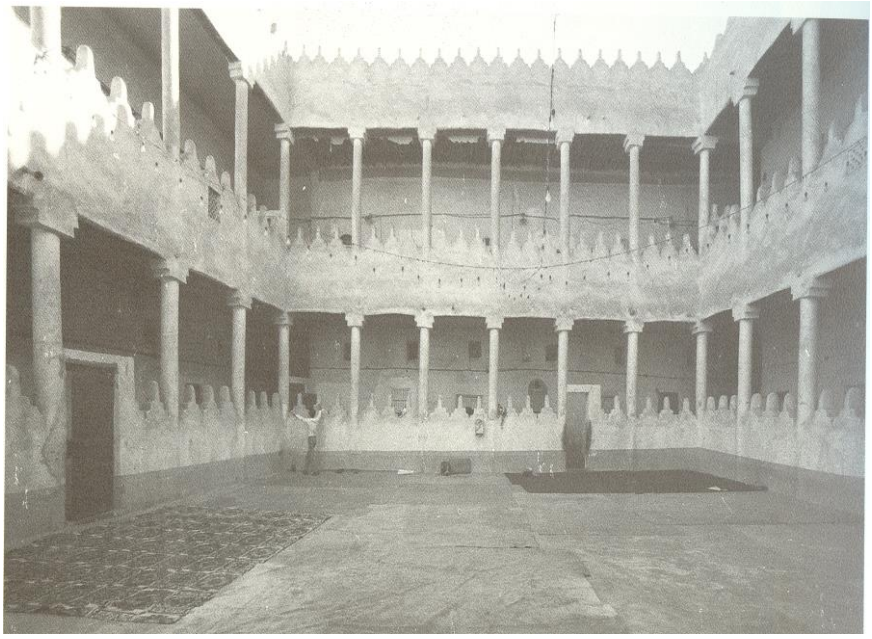

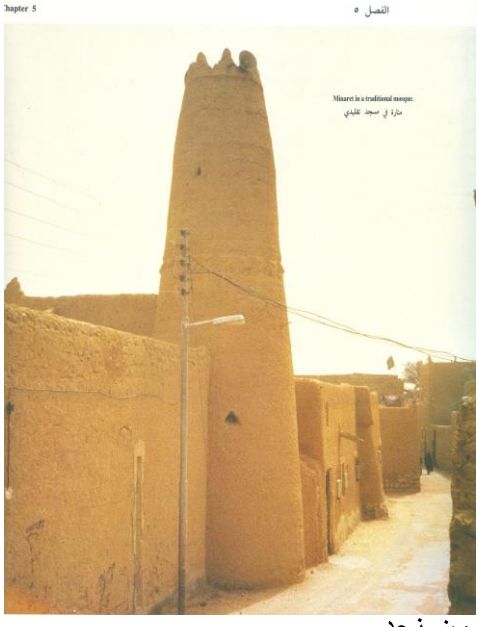

نماذج تراثيه من نجد

نماذج من المواقع والمباني التراثية بالمملكة العربية السعودية
(جدة – نجد – دومة الجندل)

ثالثاً: حي الدرع بدومة الجندل نموذج للقرى الريفية بمملكة العربية السعودية

نموذج للمواقع والمباني التراثية توزر – تونس

نماذج من مباني توزر الاثريه